دروس في العقيدة (٢)

العدل الإلهي

www.iqra.ahlamontada.com
منتدى إقرأ الثقافي

مؤسسة البلاغ

الحكم الذاتي

■ العدل الالهي .

تأليف ونشر: لجنة التأليف ــ مؤسسة البلاغ .

عدد النسخ : ١٠٠٠٠ نسخة .

الطبعة : الأولى ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٨م .

المطبعة : نشر فرهنك .

الترجمة جائزة للجميع بعد عرضها علىٰ المؤسسة

الجمهورية الاسلامية في إيران . ص . ب : ١٩٧٧/١٩٣٩٥

P.O. BOX: 1977 19395. ISLAMIC REPUBLIC OF IRAN

دروس في العقيدة

٢

العدل الإلهي

مؤسسة البلاغ

المدخل

من المبادئ الأساسية في عقيدة التوحيد، هو الايمان بعدل الله سبحانه، و التصديق بأنّ الله عادل لا يظلم أحدا من الخلق، لانّ الظلم قبيح، و هو سبحانه منزّه عن فعل القبيح، و هو سبحانه عالم لا يجهل، فلا يفعل القبيح إلّا من كان جاهلا به، أو محتاجا اليه أو عاجزا عن تركه، أو عابثا، و هو سبحانه عالم لا يجهل، و غني لا يحتاج الىٰ ظلم أحد، و قادر لا يضطر الىٰ فعل الظلم، و حكيم لا يعبث.

قال تعالىٰ: «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إلهَ إلّا هُوَ و الملائكةُ و أُولوا العِلْمِ قائماً بالقِسْطِ لا إلهَ إلّا هُوَ العَزيزُ الحَكيم». (آل عمران/١٨)

«قُلْ أَمَرَ رَبّي بالقِسْطِ...». (الأعراف /٢٩)

«... ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ احداً». (الكهف/٤٩)

«وما ظَلَمناهُمْ ولكِن كانوا انْفُسَهُمْ يَظْلِمون». (النحل/١١٨)

و المتأمل في هذا الوجود، تأملا عقليا و علميا دقيقا يلاحظ انّ عدل الله سبحانه منبسط علىٰ الخلائق كلّها و يشاهد آثار العدل ظاهرة في العوالم بأسرها، في عالم الطبيعة، و النبات، و الحيوان، و الانسان، كما

هي متحققة أيضا فيما خفي عنّا من عوالم و مخلوقات كثيرة.

تعريف:

وقد عرّف العلماء معنىٰ (انّ الله عادل) بقولهم، انّه: (لا يفعل القبيح، و لا يخلّ بواجب)[1]، فكلّ قبيح، كمعاقبة الانسان علىٰ شيء لم يفعله، أو تكليفه فوق طاقته، أو المساواة بين المحسن و المسيء، و أمثال ذلك، لا يمكن أن يفعله الله، و هو منزّه عنه.

كما انّه لا يترك شيئا ثبتت مصلحته للعباد في علمه تعالىٰ، و علم أنّ فيه خيرا و مصلحة لخلقه، كارسال الرسل و الشرائع، أو فعل ما يصلح الانسان... الخ، و هذا هو معنى وجوب الشيء على الله تعالىٰ، و ليس هذا الوجوب كمفهوم الواجب البشري الذي يعني المسؤولية و الحساب و الجزاء، فهو منزّه عن ذلك.

وقد وضّح القرآن الكريم معنى الواجب على الله سبحانه بقوله:

«كَتَبَ علىٰ نَفْسِهِ الرَّحمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُم الىٰ يَومِ القِيامةِ لا رَيْبَ فِيهِ»
(الانعام/١٢)

أي فرضها و ثبتها علىٰ نفسه... و لا يمكن أن يخلّ بها، أو يحجز الرحمة عن العباد، الّا لسبب عادل يدعو للحرمان من الرحمة، كما لا يمكن أن يخلّ بوعده في حصول القيامة، فهو أمر محتوم الوقوع.

---

١ ــ عبدالله شبّر/حق اليقين في اصول الدين/باب العدل.

أبرز مظاهر العدل الالهي

و بعد أن وضّح لدينا معنىٰ العدل الالهي، و المقصود به، ينبغي أن نوضّح أبرز مظاهره و تجلياته، و التي يمكن تلخيصها بما يأتي:

١ ــ ظهور العدل في الخلق و التكوين.

٢ ــ ظهور العدل في القضاء و القدر.

٣ ــ ظهور العدل في قدرة الانسان علىٰ الاختيار.

٤ ــ ظهور العدل في التكليف بمستوىٰ القدرة.

٥ ــ ظهور العدل في التشريع و الرسالة.

٦ ــ ظهور العدل في الجزاء (العقاب و الثواب).

٧ ــ ظهور العدل في تحديد المسؤولية (انّ الانسان لا يتحمل الّا ذنبه).

٨ ــ ظهور العدل في ارسال الرسل و الشرائع.

٩ ــ ظهور العدل في العوض عن الآلام.

١٠ ــ ظهور العدل في الابتلاء و الاختبار.

و فيما يأتي نتناول كلا من هذه المبادئ بشيء من الشرح و التوضيح:

١ ــ ظهور العدل في الخلق و التكوين:

إنّ المتأمل في هذا العالم بما فيه من إنسان و حيوان و نبات و جماد، تأملا عقليا و علميا دقيقا، يلاحظ انّ عدل الله سبحانه منبسط على الخلائق كلها و يشاهد آثار العدل ظاهرة في العوالم بأسرها.

من هنا فنحن نشاهد آثار العدل الالهي ظاهرة واضحة في الخلق و التكوين، فهو سبحانه خلق الكون و الانسان و الحياة علىٰ أساس العدل، و من مظاهر عدله سبحانه في خلق الانسان، أن هيّأ له كل مستلزمات الحياة، و زوده بكل ما يحتاجه من أجهزة بدنية، و وافق بين وجوده، و بين العالم من حوله، من ضغط و حرارة و طعام و شراب و جاذبية... الخ، لئلا يعيش الانسان في ضيق و ألم و عذاب و كما تتجسد العدالة في نظام الخلق و التكوين، فانّها تتجلّىٰ كذلك في التشريع و التقنين، فتتجسد بما أرسل من شرائع و قوانين و رسالات، تبسط العدل في حياة الانسان، و وجوده المادي و الفكري و النفسي... و بذا صار القانون الاسلامي، هو الصيغة التنظيمية لنشاط الانسان و الملبّي لكل احتياجاته و أشواقه و ميوله و غرائزه الطبيعية الفطرية، فهو لم يستنكر نشاط الغريزة، و لم يكبت حاجات الانسان الجسدية و النفسية و العقلية، كغريزة الجنس و الابوّة و الطعام و التملّك و الاجتماع و التفكير... لانّها حقائق تكوينية، قد أودعها الله سبحانه في هذا الانسان، و ثبتها بعدله و حكمته، لتؤدّي غرضها، و تعبر عن دورها، لذا فلا يمكن أن يكون هناك

تعارض بين التكوين و التشريع، لأنّ هذا التناقض يعني الظلم و العبث، و هو سبحانه عادل منزّه عن ذلك، و بذا كان الاسلام دين الفطرة... و كان دينا واقعيا يتعامل مع طبيعة الانسان التكوينية و واقعه، كما خلقه الله سبحانه.

٢ ـ ظهور العدل في القضاء و القدر:

القضاء في اللغة، هو: (الفصل و القطع)... و قضاءالله، هو ما حكم الله به، و أراد فعله و وقوعه...

فالقضاء: هو الأمر الحتمي الوقوع، المقرر الحدوث من قبل الله تعالىٰ.

و القدر: هو (التقدير)، أو المهيّأ، و المعدّ للحدوث، وفق تقدير معيّن، أي محدّد الزمان و المكان و المقدار و الكيفية... الخ. و يطلق عليه بالمصطلحات المتداولة الآن: (التخطيط).

و بذا يكون القضاء و القدر، هو الأمر الحتمي الحدوث، الذي قرّر حدوثه، و أعدّ وفق تقدير معيّن من قبل الله تعالىٰ...

و واضح لدينا انّ القضاء و القدر يجريان علىٰ الانسان دون أن يكون له دخل بهما، أو قدرة علىٰ ردّهما، أو التخلّص منهما.

و من اسس الايمان بالله سبحانه، هو التسليم لقضاءالله و قدره، و الايمان بعدله في القضاء و القدر.

ان القرآن الكريم يقرّر أنّ الله قائم بالقسط، و لا يمكن أن يصدر عنه الّا ما هو قسط... «**شَهِدَ اللّهُ أنّهُ لا إلهَ إلّا هُوَ و الملائكةُ و أُولوا**

العِلْمِ قائمًا بالقِسْطِ لا إلهَ إلّا هُوَ العَزيزُ الحَكيم».

و القسط هو: (النصيب بالعدل، كالنصف و النصفة).[2]

أي انّ علاقة الله بخلقه علاقة انصاف و عدل، فهو سبحانه قائم بالقسط... أي مراع للعدل، و حافظ له[3]، في كلّ ما يصدر عنه... فلا يقضي، و لا يقدّر شيئا، الّا وفق العدل و الانصاف.

و الانصاف في التعامل، يعني في اللغة: (أن لا يأخذ صاحبه من المنافع، الّا مثل ما يعطيه)[4].

و الله سبحانه، يصوّر لنا علاقة تعامله مع خلقه أنّها علاقة قائمة على العدل و الانصاف، فلا يحملهم، و لا يوقع عليهم من الحوادث و الوقائع، الّا و له ما يقابله من الثواب و العوض، و الكل منه تعالى...

فالله سبحانه، في قضائه و قدره، عادل منصف... فما يقع على الانسان من حوادث القضاء و القدر، مرتبط بالعدل و الحكمة و المصلحة... و كثيرا ما تخفى على الانسان تلك المنافع و المصالح، لذلك أشار اليها القرآن بقوله: **«..و عسىٰ أن تكرَهوا شَيئاً وَهُوَ خير لَكُمْ وَ عَسىٰ أن تُحِبّوا شيئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُم و اللّهُ يَعلمُ وَأنتُم لا تَعْلَمون».**

(البقرة/٢١٦)

---

٢ ــ الراغب الاصفهاني/معجم مفردات ألفاظ القرآن/مادة قسط.

٣ ــ نفس المصدر/مادة قوم.

٤ ــ نفس المصدر/مادة نصف.

و المصلحة قد تكون ــ أحيانا ــ نوعية عامة، يعود أثرها الايجابي على عموم النوع البشري... و عند تحقيق هذه المصلحة العمومية، قد يتضرّر أفراد من البشر، و ليس في هذا ظلم، فنظام الحياة الذي خلقه الله سبحانه يفرض مثل هذه النتائج... فنزول المطر الغزير، الذي يحيي الأرض و الانسان... قد يتسبب في موت إنسان، أو هدم داره... الخ.

و كثيرا ما يكون للقضاء و القدر المتمثل بانتشار حالات الضيق و الحرج و الكوارث المادية و النفسية، أهداف تربوية، اصلاحية و تأديبية، تؤدّي الى الاصلاح النفسي و الاجتماعي، الذي يفوق في نفعه الجانب المادي...

لقد أشار القرآن الى ذلك بقوله:

«وما أرْسلنا في قَريَةٍ من نَّبي إلاّ أخذْنا أهْلَها بالبأساءِ و الضَّراء لعَلّهُم يَضَّرَّعون». (الأعراف/٩٤)

«و لَنَبْلونَّكُم بِشيءٍ مِنَ الخَوفِ و الجُوعِ و نَقصٍ مِنَ الأموال و الأنفُس و الثَّمَراتِ و بَشّرِ الصابِرينَ».

(البقرة/١٥٥)

فالقرآن عندما يعرض جوانب الحوادث و الآلام و الكوارث التي تحلّ بالانسان من قبل الله تعالى، قد يربطها بجريمة الانسان نفسه، و يفسّرها لنا بأنّها عقوبة إلهية ...هدفها تذكير الانسان و تأديبه، و اصلاح وضعه الفاسد المتحلل... و لا مجال فيها للطعن بعدل الله ...فهي حوادث معبّرة

عن العدل الالهي، لأنّها عقوبة تحلّ بالمجرم، و وسيلة للاصلاح، و تذكيره بجريمته و ضلاله، لعلّه يصلح نفسه و مجتمعه، و يعود الىٰ الله سبحانه، فيضع قدمه على الصراط المستقيم، فمثل هذه العقوبات، مثل العقوبات التي ينزلها المربّي بالطفل المسي، ،ليؤدّبه، أو كعمل الطبيب الذي يقطع العضو المصاب بالسرطان، ليحمي الجسم كلّه، فلا مجال لا تّهام مثل هذه الاعمال بالظلم أو العبث، لأنّها تستهدف الخير و المصلحة.

إنّ الايمان بعدل الله و حكمته، هو القاعدة و الأساس الذي ينطلق منه الفهم و الوعي الانساني لمثل تلك الحوادث و الوقائع، فيتّعظ و يعتبر، و يستبعد نسبة الظلم الىٰ الله سبحانه كل الاستبعاد، بل يعود الىٰ نفسه فيحاسبها علىٰ جريمتها، و خروجها علىٰ خط الاستقامة الذي قاده الىٰ تلك المآسي و العقوبات، و يتّخذ من تلك التجارب دروسا و مواعظ و منارا للاهتداء و الاستقامة.

٣ ــ ظهور العدل الالهي في قدرة الانسان علىٰ الاختيار:

و يهمنا في هذا الموضوع أن نتحدث عن قضية هامة، هي من أكثر قضايا الفكر و العقيدة أهمية، و هي قضية: (الجبر و الاختيار في السلوك الانساني)، التي ترتبط ارتباطا وثيقا بعدل الله سبحانه، و من الواضح تاريخيا انّ هذه القضية قد شغلت الفكر الانساني منذ أقدم العصور، و ناقشها الفلاسفة و علماء النفس و علماء العقيدة الاسلامية (المتكلمون) كثيرا، كما ناقشتها الفلسفات و الدراسات النفسية الحديثة، مناقشة

مستفيضة.

و طبيعي أنّ البحث في هذه القضية يعني من وجهة النظر الاسلامية البحث في:

١ ــ علاقة الجبر و الاختيار، بتفسير السلوك الانساني.

٢ ــ ارتباط الجبر و الاختيار بالجزاء و المسؤولية أمام الله سبحانه و الناس و السلطة الشرعية.

٣ ــ علاقة الجبر و الاختيار و الجزاء، بعدل الله سبحانه.

و لقد بدأ الحديث و الحوار في هذه القضية ــ قضية الجبر و التفويض و قدرة الانسان على الاختيار ــ بالنسبة للفكر الاسلامي في عصر الخلفاء الراشدين، و شغلت هذه المسألة المهمة التفكير الاسلامي و الباحثين الاسلاميين، من مفسرين و متكلمين و فلاسفة، و أمثالهم من رجال العلم و المعرفة، و كان نتيجة ذلك أن نشأت نظريات و مذاهب لتفسير السلوك الانساني، و الاجابة على سؤال: هل الانسان مخيّر في عمله للخير و الشر و الطاعة و المعصية، أم هو مجبر؟

وقد اتجه التفكير في أوساط المسلمين إتجاهات شتى للاجابة على هذا السؤال و تفسير سلوك الانسان، و في كل الاحوال، لم يكن هذا التفسير عملا منفصلا عن مفاهيم العقيدة الاسلامية و مقرراتها، فهي ذات صلة وثيقة بالعقيدة الاسلامية، و هذه الصلة ليست قضية اعتبارية، بل هي قضية تشخيصية، و وصفية، تصف و تبيّن حقيقة و علاقة الانسان

بخالقه، و ارتباط السلوك الانساني و ارادة الانسان بارادة الله سبحانه، و كم هي قدرة الانسان علىٰ الاختيار.

فالتفسير الخاطئ يقود الىٰ نتائج ترفضها مقررات العقيدة الاسلامية، التي ترتبط بعدل الله، و عموم قدرته فالاعتقاد بالجبر مثلا، يتعارض مع الايمان بالعدل الالهي، و فكرة التفويض، تقود الىٰ القول بعدم قدرة الله في ذلك المجال من عمل الانسان.

و اذن فلنحاول ايضاح مفهومي الجبر و الاختيار، و تفسيرهما، لنعرف هل الانسان مجبر علىٰ الوقوع في الضلال، أو سلوك سبيل الهداية؟ أو هو مخيّر؟ و كيف يتم تفسير الاختيار؟ أم الأمر مفوّض اليه، و ليس لله القدرة علىٰ منعه عن فعل الشّر، أو إجباره علىٰ فعل الخير؟

لقد تشتت الآراء، و كثرت النظريات و التفاسير المطروحة لتفسير و بيان هذه القضية الخطيرة، فنشأت ثلاثة آراء أساسية لتفسير السلوك و الفعل الانساني، نذكرها بشيء من التفصيل و الايضاح:

١ ــ الجبر: و يفسّر هذا الاتجاه السلوك الانساني تفسيرا جبريا، و يرى أنّ الانسان مجبر على فعله، لا يملك الارادة و لا يستطيع أن يرفض أي فعل، فهو عبارة عن المحل الذي تجري فيه مشيئة الله و ارادته، كما يجري الماء في النهر و هو لا يملك الرفض و لا القبول الذاتي، فالانسان حينما يفعل الخير، و يسلك سبيل الهدىٰ، أو يفعل الشر، و يسلك سبيل الضلال، انّما يجد نفسه مجبرا علىٰ ذلك، لا يستطيع الرفض، أو القبول الذاتي.

٢ ــ التفويض: و الرأي الثاني الذي طرح لتفسير هذه القضية، هو القول بالتفويض الىٰ الانسان، و يرىٰ هذا الرأي أنّ أمر الانسان السلوكي، مفوّض للانسان نفسه، و هو وحده يستطيع أن يقرر ما يشاء، و ليس لله القدرة علىٰ منعه، أو إرغامه علىٰ فعل شيء..

و الملاحظ علىٰ كلا الرأيين أنهما رأيان عاجزان عن التفسير العقائدي السليم، و غير متطابقين مع المفهوم التوحيدي الأصيل.

فالرأي الجبري، يتعارض و يتناقض مع عدل الله سبحانه و الرأي التفويضي، يتعارض و يتناقض مع الايمان بقدرة الله سبحانه، و هيمنته علىٰ خلقه، فكلا الرأيين قد وقعافي الخطأ و الابتعاد عن الفهم التوحيدي الخالص، فالله سبحانه منزّه عن الفحشاء، و منزّه عن القبيح، و لا يمكن أن يصادر ارادة الانسان، ثمّ يحاسبه و يعاقبه، كما أنّه هو المالك و هو علىٰ كلّ شيء قدير، فلا يجري شيء في الوجود و هو خارج عن قدرته و علمه و مشيئته، و من مشيئته أن يضل النفس المختارة للضلال، و يهلكها باختيارها، و أن يعين الانسان الراغب في الهدى، و يزيده هدى، فهو سبحانه منزّه عن الفحشاء، منزّه عن فعل القبيح، منزّه عن الظلم[٥]، و لا يمكن أن يجري في ملكه الّا ما يشاء، وقد شاء أن يعطي الانسان الاختيار، و يحمّله مسؤولية اختياره هذا.

---

٥ ــ هذا هو مبنىٰ العدلية و الامامية و المعتزلة، و ليس الأشاعرة الذين يرون الحسن و القبح هوما يأمر به و ينهى عنه الله تبارك و تعالىٰ و ليس لهما علاقة بالعقل.

٣ ــ لا جبر ولا تفويض: أما الاتجاه التفسيري الثالث، فهو الاتجاه الذي يؤمن بأنّه لا جبر ولا تفويض، ويفسّر السلوك تفسيرا قرآنيا دقيقا، فالذي يستقرئ القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهّرة، ويستوعب المفاهيم والافكار التوحيدية، ويعرف صفات الله، وما يصح أن يوصف به، وما لا يصح أن ينسب اليه، ويستشف من خلال ذلك علاقة الخلق بخالق الوجود، وآثار الله في خلقه، يستطيع أن يشخّص العلاقة بين ارادة الله وارادة الانسان، ومعنى القدرة على الاختيار، وهذا الاتجاه هو الاتجاه الذي ثبته أئمة أهل البيت(ع) ووضحوه للأُمة.

ولنتناول حوارا للامام علي(ع) مع شيخ مجاهد، صاحبه في معركة صفّين، لنعرف من خلاله تفسير الامام وردّه علىٰ الاشتباه الذي حصل لدىٰ هذا الشيخ، كما يحصل لأمثاله ممّن يصعب عليهم استيعاب المعاني العقائدية، ويضطرب لديهم الفهم، لنعرف العلاقة بين ارادة الله، وارادة الانسان واختياره، وكيف نفسّر السلوك الانساني بعيدا عن التفويض والجبرية. (يروي الاصبغ بن نباتة أنّ الامام عليا لما انصرف من صفين، قام اليه شيخ فقال: أخبرنا يا أميرالمؤمنين عن مسيرنا الىٰ الشام، أكان بقضاء الله تعالىٰ وقدره؟

فقال أميرالمؤمنين(ع): **والّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة ما وطأنا موطئا، ولا هبطنا واديا، ولا علونا تلعة[٦]، الّا بقضائه وقدره.**

---

٦ ــ التلعة: المرتفع من الأرض.

فقال له الشيخ: عندالله أحتسب عنائي، ما أرىٰ لي من الأجر شيئا.

فقال له: **مه أيّها الشيخ، بل عظّم‌الله أجركم بمسيركم و أنتم سائرون، و في منصرفكم و أنتم منصرفون، و لم تكونوا في شيءمن حالا تكم مكرهين، و لا اليها مضطرين.**

فقال الشيخ: كيف و القضاء و القدر ساقنا.

فقال: ويحك، لعلّك ظننت قضاء لازما، و قدرا حتما، لو كان كذلك لبطل الثواب و العقاب، و الوعد و الوعيد، و الأمر و النهي، و لم تأت لائمة من الله لمذنب، و لا محمدة لمحسن، و لم يكن المحسن أولىٰ بالمدح من المسيء،و لا المسيء،أولىٰ بالذم من المحسن. تلك مقالة عبدة الأوثان. و جنود الشيطان. و شهود الزّور. و أهل العمىٰ عن الصواب، و هم قدرية هذه الامة و مجوسها، انّ الله تعالىٰ أمر تخييرا، و نهىٰ تحذيرا، و كلّف يسيرا، و لم يعص مغلوبا، و لم يطع مكرها، و لم يرسل الرسل عبثا، و لم يخلق السموات و الارض و ما بينهما باطلا، ذلك ظنّ الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

فقال الشيخ: و ما القضاء و القدر اللذان ما سرنا الّا بهما؟

فقال: **هو الأمر من الله تعالى و الحكم، و تلا قوله تعالىٰ: «و قضى ربك ألّا تعبدوا الّا اياه».**

فنهض الشيخ مسرورا و هو يقول:

أنت الامام الذي نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمٰن رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا جزاك ربّك عنّا منه احسانا[٧]

و هكذا فسّر الامام علي(ع) و أوضح اختيار الانسان و علاقته بقضاءالله و قدره، بعيدا عن الجبر، عبر ارادة الله و مشيئته.

و ورد عن الامام جعفر بن محمد الصادق(ع)، تفسيرا و توضيحا للسلوك الانساني، و لدور الارادة الانسانية في الاختيار، و تقرير مصير الانسان، فقال:

(انّ الله خلق الخلق، فعلم ما هم صائرون اليه و أمرهم و نهاهم، فما أمرهم به من شيء،فقد جعل لهم السبيل الىٰ تركه، ولا يكونون آخذين، ولا تاركين، الّا باذن الله)[٨].

و سئل الامام علي بن موسىٰ الرضا(ع) عن الجبر و التفويض، و معنىٰ الاختيار، سأله الحسن بن علي الوشاء، فقال:

(الله فوّض الأمر الىٰ العباد؟ فقال: هو أعزّ من ذلك ثمّ قال: قال الله عزّ و جلّ: «يا ابن آدم أنا أولىٰ بحسناتك منك، و أنت أولىٰ بسيئاتك منّي، عملت المعاصي بقوّتي التي جعلتها فيك»)[٩].

و ذكر عنده الجبر و التفويض، فقال: **(ألا أعطيكم في هذا أصلا**

---

٧ ــ العلامة الحلي/شرح تجريد الاعتقاد/ص ٢٤٧.

٨ ــ الشيخ محمد باقر البهودي/صحيح الكافي/ج ١/ص ١٩.

٩ ــ الشيخ الصدوق/٣٨١ هـ /عيون أخبار الرضا.

لا يختلفون فيه، ولا يخاصمكم عليه أحد الّا كسرتموه، قلنا: ان رأيت ذلك، فقال: انّ الله تعالىٰ لم يطع باكراه، ولم يعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه هو المالك لما ملكهم، والقادر علىٰ ما أقدرهم عليه، فان ائتمر العباد بطاعته، لم يكن الله عنها صادرا*، ولا منها مانعا، وان ائتمروا بمعصية، فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، و ان لم يحل ففعلوا، فليس هو الذي أدخلهم فيه، ثمّ قال: **من يضبط حدود هذا الكلام، فقد خصم* من خالفه)**[10].

و في ايضاحات و أقوال اُخرىٰ للامام الرضا(ع)، نقرأ التفسير و الايضاح الكافي للمعاني الغامضة في نصوص القرآن الحكيم التي تعرّضت لمثل هذا الموضوع.

فقد فسّر الامام آيتين تعرّضتا لموضوع الجبر و الاختيار بصيغ و عبارات اخرىٰ، فاستقصىٰ غوامضها، فحينما سئل عن معنىٰ قوله تعالىٰ:

«... وتركهم في ظلمات لا يبصرون» قال: **انّ الله تبارك و تعالى لا يوصف[11] بالترك كما يوصف خلقه، ولكنّه متىٰ علم انّهم لا يرجعون عن الكفر و الضلال، منعهم المعاونة و اللطف، و خلّىٰ**

---

* ــ صادرا: صارما.

* ــ خصم: غلب.

١٠ ــ المصدر السابق.

١١ ــ يشير الىٰ تعلّق الخلق بالخالق و استحالة الانفصال بينهما.

بينهم وبين اختيارهم)[12].

و سئل(ع) عن معنى قوله تعالى: **«ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم»**، فقال: **الختم هو الطبع على قلوب الكفّار عقوبة على كفرهم، كما قال عز وجل: «بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الّا قليلا»)**[13]

و ورد عن الامام الصادق(ع): **(لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بينهما)**[14].

و هكذا يتّضح موضوع الجبر و الاختيار، و الهدى و الضلال، من خلال عرض القرآن و السنّة المطهرة لهذه المفاهيم العقائدية الخطيرة.

وقد شرح لنا أحد العلماء مفهوم الجبر و الاختيار و علاقة الارادة الانسانية بارادة الله سبحانه... و مثل هذه العلاقة باليد المشلولة التي تفترض حركتها عند مرور التيار الكهربائي بها من قبل أحد الاطباء المعالجين و لنفترض ان هذا الطبيب قام بتوجيه التيار الكهربائي الى يد المريض المشلولة، و سرى فيها التيار، و استطاع المريض أن يحرّكها بفعل التيار الذي سرى فيها، و الطبيب لم يزل يواصل العملية و الامداد بالتيار الكهربائي.

---

١٢ ــ الشيخ الصدوق/عيون أخبار الرضا.

١٣ ــ الشيخ الصدوق/عيون أخبار الرضا.

١٤ ــ الكليني/الكافي/ كتاب التوحيد/باب الجبر و القدر و الأمر بين الأمرين.

و لنفترض أن المريض قد استطاع أن يحرّك يده باختيارهٖ و يضرب بها أحد الحاضرين، فهل يتحمّل الطبيب الذي لم يزل يمدّه بالتيار الكهربائي، الذي يمكّنه من تحريك اليد المشلولة، المسؤولية أم أنّ الطبيب بريء من هذا الفعل، و يتحمّله المريض نفسه.

لا شك أنّ المريض هو الذي يتحمّل المسؤولية، و ان كان هو بغير الطبيب مشلولا، لا يستطيع الحركة و لا الفعل، الّا أنّ الطبيب لم يفرض عليه الفعل، و لم يختره له، بل المريض هو الذي اختار الفعل، و هكذا الامر بالنسبة لعلاقة ارادة الانسان بارادة الله سبحانه، فليس للانسان ارادة مواجهة لارادة الله، و لا قادرة علىٰ التمرّد عليها، و لا مستقلة كل الاستقلال عنها، بل اعطيت من قبل الله سبحانه القدرة علىٰ التصرف و الاختيار.

و هو و ان كان يتحرّك بقدرة الله، الّا أنّه هو الذي اختار الفعل، كما اختار المريض ــ في المثال ــ الفعل و هو يتحرّك بتمكين الطبيب الذي أمده بالقدرة علىٰ التحرّك و ايقاع الفعل.

و هكذا يتمّ تفسير السلوك الذي يصدر عن الانسان علىٰ أساس واضح و سليم.

٤ ــ ظهور العدل الالهي في التكليف بمستوى القدرة:

و من مظاهر العدل الالهي الواضحة في التشريع و التكاليف و موارد الابتلاء و الاختبار، هو التكليف و الابتلاء بمستوى القدرة و الطاقة

الانسانية... فلم يكلّف الله الانسان، و لم يختبره بشيء فوق حدود طاقته، كانسان قادر على تحمّل ما يقع عليه من ابتلاء و اختبار و تكاليف...

فهو لم يكلّف الانسان بشيء من التكاليف و الواجبات... كالصلاة و الجهاد و الزكاة و الأمر بالمعروف... الخ. فوق حدود قدرته و طاقته...

و ورد عن الامام جعفر بن محمد الصادق(ع): **(ما كلّف الله العباد ما لا يطيقون...)**[١٥].

وقد ثبت الرسول الكريم(ص) بحديث الرفع أوسع القواعد و أوضحها في هذا الشأن، فقد ورد عنه(ص): **(رفع عن امتي تسع: الخطأ، و النسيان، وما اكرهوا عليه، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا اليه، و الحسد، و الطيرة، و الوسوسة في الخلق، ما لم ينطق بشفة و لا لسان)**[١٦].

و هكذا يثبت الرسول(ص) رفع العقوبة و المسؤولية عن الانسان، و يجعل له العذر في مورد: (ما لا يطيقون) ذلك لأنّ الذي وقع، أو حدث في هذه الحالة، هو فوق طاقة الانسان و قدرته، لذلك فهو معذور، و لا يعاقب على تركه.

٥ ــ ظهور العدل في التشريع و الرسالة (العدالة الاجتماعية):

---

١٥ ــ الحر العاملي/وسائل الشيعة الى مسائل الشريعة/ج ٨/باب وجوب الحج/ص ١٢/ط ٤.

١٦ ــ الحراني/تحف العقول عن آل الرسول/ص ٤١/ط ١٣٩٤ هـ ايران.

ومن المجالات التي يتجسد فيها العدل الالهي واضحا هو مجال الشريعة و الرسالة، كما هو واضح في أصل العقيدة الاسلامية، فانّ صفة العدل الالهي ظاهرة و مشخّصة آثارها في كلّ ما صدر عن الله سبحانه، من فعل، و وحي، و رسالات و قضاء، و قدر... الخ.

ذلك لأنّ الظلم قبيح، و نقص، يعبّر عن الحاجة، أو العبث أو الجهل، و لا يليق فعل القبيح بالله الكامل، المنزّه، عن الحاجة و الجهل و العبث، لذا فانّ الشرائع و القوانين و الاحكام التي صدرت عن الله سبحانه كلّها تستهدف تحقيق الانصاف و العدالة الاجتماعية، و رفع الظلم و الجور عن الناس جميعا، لبناء مجتمع انساني، ينعم بالعدل و القسط في السياسة و القضاء و الاقتصاد و العلاقات الاجتماعية الاخرى... الخ.

لذلك دعا القرآن الكريم و السنّة المطهّرة الى العدل و جعلاه من الواجبات الاساسية في الاسلام، و حذّرا من الظلم و الجور و استنكراه، و عدّ في عرفهما من أكبر الجرائم و أعظمها... بل عدّ الشرك أحد مصاديق الظلم لقبحه و بشاعته و لبعد الظلم و الظالمين عن الايمان... و القرآن يوضّح ذلك بقوله: «**يا بنيّ لا تشرك بالله انّ الشرك لظلم عظيم**».

و ممّا يغني البحث، و يوضّح هذه الفكرة، هو ايراد بعض الآيات و الاحاديث الموضحة لدعوة الاسلام الىٰ العدل و براءته من الظلم و الجور و الظالمين، مثل قوله تعالىٰ:

«فَلِذلك فادْعُ و استَقِمْ كما أُمِرْتَ ولا تَتَّبِعْ أهْواءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بما أنْزَلَ اللّهُ من كتاب و أُمِرتُ لأعْدِلَ بينَكُمُ اللّهُ رَبُّنا وَ رَبُّكُمْ لَنا أعمالُنا وَلَكُم أعمالُكُم لا حُجَّةَ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ اللّهُ يَجْمعُ بَيْننا و إلَيْهِ المصِيرُ».

(الشورىٰ/١٥)

«يا أيُّها الَّذِينَ آمَنوا كُونوا قَوّامينَ بالقِسْطِ شُهداءَ لِلّهِ ولو علىٰ أنْفُسِكُمْ أو الوالِدَيْنِ و الأقْرَبينَ إنْ يَكُنْ غَنياً أو فَقيراً فاللّهُ أوْلىٰ بِهِما فلا تَتَّبِعُوا الهَوَىٰ أن تَعْدِلوا و إنْ تَلووا أو تُعْرِضوا فإنّ اللّهَ كان بِما تَعْمَلُون خَبيرا».

(النساء/١٣٥)

«يا أيُّها الذِينَ آمَنوا كُونوا قَوّامِينَ لِلّهِ شُهَداءَ بالقِسْطِ ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنآنُ قَومٍ علىٰ ألّا تَعْدِلوا اعْدِلوا هُوَ أقْرَبُ للتقوىٰ و اتَّقُوا اللّهَ إنّ اللّهَ خَبير بما تَعْمَلونَ».

(المائدة/٨)

«ولا تَقْرَبوا مالَ اليَتيمِ إلّا بالّتي هِيَ أحْسَنُ حتىٰ يَبْلُغَ أشُدَّهُ و أوْفوا الكَيْلَ و المِيزانَ بالقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إلّا وُسْعَها و إذا قُلْتُمْ فاعْدِلوا ولَوْ كانَ ذا قُربىٰ و بِعَهْدِ اللّهِ أوْفوا ذلِكُمْ وَصّاكُم بِهِ لعلّكُمْ تَذَكَّرون».

(الانعام/١٥٢)

انّ القرآن يتحدّث في بحر آياته العديدة عن العدل و العدالة، ليرسي قواعدها، و يصنع الانسان العادل، و المجتمع العادل... فالعدل أساس في البناء السياسي و القضائي و الاقتصادي، و أساس في تثبيت الحقوق و الواجبات و اصول التّعامل و العلاقات بين الناس.

و كما ثبّت القرآن شريعته و عقيدته و دعوته علىٰ أساس العدل، و شدّد في تعظيمه و تقديسه، عندما أكّد أنّه من صفات الله سبحانه، و أن الله قائم بالقسط... ثبّت كذلك براءة الخالق سبحانه من الظلم و الظالمين، و بعدهما عنه.

و كلّ هذه الدعوة الى العدل، و استنكار الظلم، و البراءة منه، قائمة علىٰ أساس: (حسن العدل و قبح الظلم)، و (اتصاف الله سبحانه بذلك الحسن، و تنزّهه عن القبح و القبيح).

و من آيات القرآن التي توضّح قبح الظلم و عاقبته: قوله تعالىٰ:

«فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الذي قِيلَ لَهُمْ فأنزَلْنا علىٰ الذِينَ ظَلَمُوا رِجْزا مِنَ السَّماءِ بِما كانوا يَفْسُقونَ».

(البقرة/٥٩)

«و لا تَرْكَنوا الىٰ الذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النارُ و ما لَكُم مِن دُونِ اللّهِ مِن أولِياءَ ثُمَّ لا تُنصَرون».

(هود/١١٣)

«و لَقَدْ أهْلَكْنا القُرون مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا و جاءَتْهُمْ رُسُلُهُم

بالبَيِّناتِ وَما كانوا لِيُؤمِنوا كَذلِكَ نَجْزي القَوْمَ المُجرِمين».

(يونس/١٣)

٦ ــ ظهور العدل في الجزاء (العقاب و الثواب):

قال الله تعالىٰ:

«لِيَجْزِيَ اللّهُ كُلَّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ إنَّ اللّهَ سَريعُ الحِسابِ».

(ابراهيم/٥١)

«إليهِ مَرْجِعُكُمْ جَميعاً وَعْدَ اللّهِ حَقاً إنَّهُ يَبْدؤُ الخَلقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجزيَ الذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصالِحاتِ بالقِسْطِ والذينَ كَفَروا لَهُمْ شَرابٌ مِن حَميمٍ وَعَذابٌ أليمٌ بما كانوا يَكْفُرون». (يونس/٤)

العلاقة بين العمل و الجزاء هي علاقة السبب بالنتيجة... فكل عمل يعمله الانسان له نتيجته و آثاره المترتبة عليه، و لا تنفك النتيجة عن السبب، الّا اذا وجد هناك مانع يمنع السبب من اعطاء النتيجة... و الجزاء له آثاره النفسية و الاجتماعية و السلوكية على حياة الانسان... فالانسان الذي يشعر أنّ العمل مرتبط بالجزاء، خيرا كان أو شرا، فانّه يندفع الىٰ فعل الخير، و يبتعد عن فعل الشر، لأنّ وضع الانسان النفسي و طبيعته تدعوه الى حبّ ذاته، و تحقيق خيرها، و ابعاد الشر عنها، لذلك كان العقاب و الثواب في القانون الالهي مظهرا من مظاهر اللطف *

* ــ اللطف: هو ما يقرب العباد الىٰ الطاعة و يبعدهم عن المعصية من غير إجبار و لا مساهمة في التمكين.

الالهي، لأنّ الخوف من العقاب و الرغبة في الثواب يقرّب العباد من الطاعة و يبعدهم عن المعصية، و لولا العقاب و الثواب، لانتشرت الجريمة، و فسد المجتمع، و تحوّلت الحياة الىٰ فوضىٰ و جحيم.

و كذا لولا الاجر و الثواب لما أقدم الانسان علىٰ فعل الخير و الاحسان بالشكل الذي يضمن جزاؤه و نتيجته.

و الايمان بالجزاء في عالم الآخرة، يمثّل ركنا من أركان العقيدة الاسلامية، و عليه تدور فكرة الحياة بأكملها في الاسلام... فالحياة في التفكير الاسلامي ينظر اليها من خلال الآخرة، و انّ صورة الحياة في عالم الآخرة، هي صورة الجزاء المستحق بسبب العمل في عالم الدنيا.

انّ العقل يحكم أوّلا بلزوم اكرام المطيع و مكافأته على طاعته و بلزوم عقاب العاصي و مجازاته علىٰ معصيته، و يحكم ثانيا بلزوم أن لا يكون الثواب أنقص من العمل و أن لا يكون العقاب أشدّ من المعصية.

لذا كان الايمان بالجزاء (العقاب و الثواب) يمثل مظهرا من مظاهر العدل الالهي، و ذلك لأنّ الله سبحانه كلّف العباد بتكاليف و مهام في هذه الحياة، فيها مشقّة و جهد، و انّ الناس ينقسمون بالنسبة الى هذه التكاليف الى مستجيب مطيع، و رافض عاص لأوامر الله سبحانه و نواهيه... و ليس معقولا، و لا من العدل أن يتساوى المحسن و المسيء، و الخيّر و الشّرير:

«أَمْ نَجْعَلُ الذينَ آمنوا و عَمِلوا الصالحاتِ كالمُفْسِدينَ في

الأَرضِ أَمْ نَجْعَلُ المُتَّقِينَ كالفُجَّارِ».

(ص/٢٨)

فلا يجازى المحسن الّا بعمله، و لا يعاقب المسيء الّا بذنبه و جريمته، لذا ثبّت الله سبحانه الجزاء، و جعله نتيجة لعمل الانسان، و المادة التي تصنع منها صيغة الحياة في الآخرة... فكيف ما يكون عمله في الدنيا، تكون حياته في الآخرة:

«مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ».

(الروم/٤٤)

انّ هناك عددا من القضايا التي ترتبط بموضوع الجزاء فمن المفيد أن نذكرها و نركزها كالآتي:

أ ــ انّ الله صادق، وقد وعد بالعقاب و الثواب، و لابدّ أن يقع العقاب و الثواب.

ب ــ انّ أجر المحسنين المطيعين لله، و جزاءهم في عالم الآخرة، ممّا أوجبه الله على نفسه، لا يمكن الّا أن يفي به، و انّ عدم الوفاء به قبيح، لا تصحّ نسبته الىٰ الله سبحانه.

ج ــ انّ جزاء العاصين العقاب و العذاب، و لله سبحانه أن يعفو و يصفح عمّن يشاء.

د ــ يجب دوام الثواب و العقاب للمستحق مطلقا في عالم الآخرة، كما في حق من يموت على ايمانه، و من يموت علىٰ كفره.

هـ ــ انّ الثواب خالص من أيّة شائبة تكدّر صفوه... مثل الألم، أو المنغصات، أو الأذىٰ أو نحوه، و كذا العقاب، فانّه خالص من أيّ شي، يخففه، أو حالة غيرعقابية تتخللّه ...فهوعقاب و عذاب خالص، في كلّ لحظة، و أن ليس فيه الّا الآلام و الذم و المهانة .

و ــ من يفعل الطاعة و الخير، ثمّ يندم علىٰ فعله، فانّه لا يكون مستحقّا للثواب، من حين حصول الندم عنده علىٰ صدور الطاعة و الخير منه... و لكي يكون مستحقا للثواب، فيجب عليه نفي الندم، و التخلّص منه، لأنّ الندم هوقطع للعلاقة بين الطاعة و فاعلها، و بالتالي إبطال لها.

ز ــ انّ الاجر و الثواب الذي يجازى به الانسان في عالم الآخرة لا يعقل أن يكون أقل قيمة و منفعة من التكاليف التي يكلّف بها الانسان في عالم الدنيا، و الّا لكان ظلما بل انّ حكمة الله تعالى قضت بأن يجازي عباده بالثواب المضاعف و ذلك تفضل و احسان منه سبحانه.

ح ــ انّ الأجر و الثواب لا يكون الّابشرطِ تحقّق عنوان الطاعة لله سبحانه و تعالىٰ فانّ من يفعل أفعال الخير كمساعدة الفقير، أو انقاذ الغريق، أو المضطر... الخ. و لكنّه لا يقصد بذلك تحقيق عنوان الطاعة لله سبحانه، فانّ عملهُ هذا يعدّ باطلا و لا يثاب عليه.

ط ــ الانسان الذي آمن و لكنّه خلط عملا صالحا، و آخر سيئا، فان كانت هذه السيئات من صغائر الذنوب، فانّ الله يغفرها له، و يستحق الثواب الدائم...

و ان كان السيء من عمله من كبائر الذنوب، و لكنّه تاب توبة صادقة، فانّ الله يغفر له، و يستحق الثواب الدائم.

أمّا اذا لم يتب عن تلك الكبيرة، أو الكبائر، فانّه يعاقب عليها ما شاءالله أولا، ثمّ يخرج من النار الىٰ الجنة.

فقد ورد عن رسول الله(ص) قوله: **(يخرجون من النار و هم كالحمم، أو كالفحم، فيراهم أهل الجنّة فيقولون هؤلاء جهنّميون، فيؤمر بهم، فيغمسون في عين الحيوان* فيخرجون و وجوههم كالبدر في ليلة تمامه).**[17]

٧ ــ ظهور العدل في تحديد المسؤولية (انّ الانسان لا يتحمّل الّا ذنبه):

و من مصاديق العدل هو تحديد المسؤولية في المعصية و الجريمة، و تحمّل نتائج تلك المعاصي و الجرائم من قبل الفاعل نفسه... فالله بعدله، لم يؤاخذ انسانا بذنب غيره، و لم يحاسبه علىٰ ما فعل سواه... فذلك الانسان، هو المسؤول عن فعله و جريمته، و هو الذي يتحمّل نتائجها.

قال تعالىٰ:

«ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ».

(الأسراء/١٥)

---

* ــ عين الحيوان: عين الحياة.

١٧ ــ العلامة الحلي/الباب الحادي عشر/ص ٩١.

و قال:

«وَ كُلَّ إنسانٍ أَلْزَمْناه طائِرَهُ في عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنشوراً».

(الأسراء/١٣)

و تلك حقيقة وجدانية و عقلية، يدركها الحس الانساني و يشخّصها العقل البشري السليم، الّا انّ هناك قضايا جزائية ترتبط بهذا الموضوع، قد يلتبس فيها الأمر علىٰ البعض من الناس... لذا فن المفيد هنا أن نوضّح أمثلة من تلك القضايا و نعرضها لزيادة الوضوح، و تكوين تفكير عقائدي عملي يوجّه سلوك الانسان و أخلاقيته في الحياة.

ورد عن الامام علي(ع) قوله: **«انّ الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة، اذا عملت الخاصة بالمنكر سرّا، من غير أن تعلم العامة، فاذا عملت الخاصة بالمنكر جهارا، فلم تغيّر ذلك العامّة، استوجب الفريقان العقوبة من الله عزّ و جلّ».**[١٨]

قاعدة العدل الالهي هذه، لها أثرها التربوي، و أهميتها في حماية المجتمع الانساني من الكفر و الظلم و الفساد و الجريمة، و توسيع دائرة المسؤولية لتشمل من يسكت على الظلم، أو يرضى به، أو يعين عليه، بايّ شكل من أشكال الاعانة، فالساكت علىٰ الظلم و الفساد و الضلال أو الراضي به، هو أحد المشاركين في ايجاده و تحقيقه،لذا ورد في الحديث

١٨ ــ الحر العاملي/وسائل الشيعة/ج ٦/ص ٤٠٧/ط ٢.

الشريف: **(العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به، شركاء ثلاثتهم).**[19]

و من مصاديق قاعدة العدل الالهي ما ورد في الحديث الشريف: **«كيفما تكونوا يولّى عليكم»**، فانّ المجتمع الذي يرضى بالظلم و الكفر و الفساد، ان سلّط الله عليه ظالما جائرا، فانّ ذلك لون من ألوان العقاب الالهي العادل... فالقانون الالهي و السنن الاجتماعية تقتضي أن لا ينتج المجتمع الفاسد الّا سلطة فاسدة... لذا فانّ اقامة الدولة و السلطة الاسلامية، يحتاج الى تغيير المجتمع، و ايجاد امّة تؤمن بالاسلام، و تعمل به.

٨ ــ ظهور العدل في ارسال الرسل و الشرائع:

عرف العلماء معنى: أنّ الله عادل، بأنّه: (لا يفعل قبيحا، و لا يخلّ بواجب)، و واضح لدينا أنّ البشرية بحاجة الى الرسالة الالهية، و الى الانبياء و الرسل... فليس بوسع الانسان أن يعيش بخير و سعادة، و يهتدي الى معرفة الله و طاعته، الّا بواسطة الانبياء و الرسل و الشرائع الالهية لذا كان ارسال الرسل و الانبياء، من الامور التي ثبتت مصلحتها في علم الله، و كلّ شيء ثبت أنّه مصلحة في علم الله، لابدّ و أن يفعله الله سبحانه (أي يكون فعله واجبا بالنسبة له)، و هذا هو معنىٰ قول علماء العقيدة: انّ هذا الشيء واجب علىٰ الله ــ أي علم أنّ فيه مصلحة للخلق،

---

١٩ ــ الكليني/اصول الكافي/ج ٢/باب الظلم.

فلابدّ من فعله ــ فارسال الرسل و الشرائع، واجب علىٰ الله سبحانه من باب حكمته و لطفه، ليعرّف نفسه للعباد، و ليرسم لهم طريق الحياة الصالحة، و منهج السعادة في الدنيا و الآخرة...

لذا كان إرسال الأنبياء و الرسل واجبا علىٰ الله سبحانه، و يوضّح لنا هذا المبدأ، مبدأ العدل الالهي في إرسال الرسل، و عدم الاخلال بالمصلحة الثابتة في علم الله و أهمية النبوّة و الرسالة، و تعبيرها عن لطف الله و حكمته في خلقه... و أنّ الله لا يترك اللطف و الحكمة، لأنّ ذلك ظلم و الظلم قبيح، و الله منزّه عن ذلك، و غني عنه.

و هكذا نعرف أنّ بعثة الأنبياء، تمثّل صورة من صور العدل الالهي، و تحقيقها في حياة الانسان... ذلك لأنّ الله سبحانه لو خلق الخلق، و لم يرسل اليهم الرسل و الانبياء و لم ينزل لهم الشرائع و الرسالات، التي تعرّفهم بالله و بعالم الآخرة، و ترسم لهم المنهج و النظام، لتنظيم المجتمع و الحياة و السلوك، لكان ظالما لهم، لأنّه تركهم للشقاء و الألم و الضياع، و حرمهم من معرفته و حبّه، و هو سبحانه منزّه عن ذلك، و غني عنه، و لا يجهل شيئا، لذلك فقد حقّق عدله، و أرسل الرسل و الشرائع، و وضّح منهج الهداية و طريق الاستقامة.

٩ ــ ظهور العدل الالهي في العوض عن الآلام:

قال الله تعالىٰ:

«... وعَسىٰ أن تكْرَهوا شَيئاً وهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وعَسىٰ أن تُحِبّوا

شَيئاً وهُوَ شَرٌّ لَكُمْ واللّهُ يَعْلَمُ وأنْتُمْ لا تَعْلَمون».

(البقرة/٢١٦)

«... فَعَسىٰ أن تَكْرَهوا شَيئاً ويَجْعَلَ اللّهُ فيهِ خَيراً كَثيراً».

(النساء/١٩)

اللذة و الألم، من الامور الوجدانية المحسوسة، لدى كل انسان، فكلّ انسان يعايشها،و يحسها، و هو بطبيعته يحبّ اللذة، و يقبل عليها، و يبحث عنها... و يكره الألم، و يبتعد عنه، و يحذر منه...

و اللذة بأنواعها النفسية، كالحبّ و الفرح، أو المادية، كلذّة الطعام و الجنس و الشراب، أو العقلية، كلذة العلم... و كذلك الآلام النفسية، كالحزن و الهم و الغم، أو المادية، كألم المرض و الجراح، و غيرها، لها تأثير كبير علىٰ وضع الانسان النفسي و علىٰ سلوكه، و علاقته بنفسه، و بالناس و بخالقه...

و لكلّ من اللذائذ و الآلام، منافعها، و آثارها النفسية الايجابية، كما أنّ لها مضارّها، و آثارها السلبية أيضا.

و مادام حديثنا يتعلّق بموضوع: (الألم و العوض الالهي) فمن المفيد تناولها، بشيء من الايضاح و التفصيل.

انّنا جميعا ندرك أنّ بعض من يصيبه الألم، قد يجزع و يسيء،فهم المصائب و الآلام، و الحكمة الكامنة في الابتلاء بها، في هذه الحياة... فالانسان يصيبه المرض، و فقد الاهل و الأحبّة، و الهمّ، و الحزن، و الغمّ،

و أنواع المصائب، فتؤثر في نفسه، و ربّما في سلوكه الخارجي في الحياة... و لا يدرك الكثير من الناس فائدة الآلام و نفعها.

انّ كلّ ألم يصيب الانسان بقضاء و قدر من الله سبحانه و تعالىٰ، انّما هو لحكمة و مصلحة، تعود علىٰ الانسان نفسه، و لكن لا يدرك الانسان حقيقة تلك المنفعة و المصلحة... وقد أثبتت التجارب و الدراسات النفسية و الاجتماعية، أنّ الأحزان و الآلام لها دورها التكاملي، و أثرها الايجابي البنّاء في تكوين الشخصية الانسانية و تصحيحها ...فللألم و الحزن فلسفته و آثاره علىٰ شخصية الانسان و حياته، و لا يتّسع بحثنا هذا لمناقشة مثل هذا الموضوع و تعميق أبحاثه، و الذي نريد ايضاحه هنا هو علاقة (الآلام) بالعدل الالهي، و بالحكمة الالهية، لنكوّن لأنفسنا درجة من الفهم و الوضوح لحكمة الالم و فلسفته... و توضيح ذلك: هو أنّ الله سبحانه خلق قانون الألم، مقابل قانون اللذة لحكمة و مصلحة للناس، و أنّه اذا ما ابتلىٰ عبدا بألم، و بأي نوع من أنواع الألم، النفسي، أو الحسّي، فانّه يعوّضه في الدنيا، أو في الآخرة تفضّلا منه و رحمة.

وقد قرأنا في بداية الموضوع الآيتين الكريمتين، اللتين قرّرتا عدم وضوح الخير و المنفعة للانسان، في كثير من الأشياء التي تقع عليه، و هو كاره لها...

انّ هناك سبيلين يوضّحان لنا الفائدة و المنفعة في الآلام التي تقع على الانسان: أحدهما عقائدي، و الآخر واقعي تجريبي...

فالطريق العقائدي، هو الايمان بأنّ الله عادل حكيم ...و هذا الايمان يوضّح لنا عدم امكانية صدور شيء عن الله، خلافا للعدل و الحكمة...

أمّا الطريق الواقعي التجريبي، فهو ما أثبتته التجارب الاجتماعية، و الابحاث النفسية، المتعلقة بفلسفة الألم، و أثره في تهذيب و تكامل الشخصية الفردية و الاجتماعية، بل و تكامل الحضارة، و المجتمع البشري.

وقد وردت روايات، و أحاديث و ايضاحات كثيرة توضّح فائدة الألم و منفعته للانسان، في الدنيا و الآخرة، فالألم يكافح نزعة الغرور و الطغيان و البطر، و يهذّب الشخصية، و يصلح الاحساس العاطفي و الوجداني عند الانسان و يفهمه بالوجه الآخر للحياة... فللحياة وجهان: وجه اللّذة و المسرّة، و وجه الألم و الحزن.

قال تعالى موضّحا بعض مصاديق هذا الاختلال في الاتّجاه و الرؤية بقوله:

«فَلْيَضْحَكوا قَليلاً وَلْيَبْكوا كَثيراً جَزاءً بِما كانوا يَكْسِبون».

(التوبة/٨٢)

و متى غاب أحد الوجهين عن عين الانسان، اختلّ توازنه السلوكي و العاطفي، و ممارسته الاخلاقية، وقد صوّر القرآن تلك الحقيقة بقوله:

«وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكىٰ وَ أَنَّهُ هُوَ أَماتَ وَ أَحْيا».

(النجم/٤٣ ــ ٤٤)

و ورد في الحديث المروي عن الامام جعفر بن محمد الصادق(ع) عن جدّه رسول الله(ص): **(قال رسول الله(ص) قال الله تبارك وتعالىٰ: انّي جعلت الدنيا بين يدي عبادي قرضا، فمن أقرضني منها قرضا، أعطيته بكل واحدة منهنّ عشرا، الىٰ سبع مائة ضعف، وما شئت من ذلك، ومن لم يقرضني منها قرضا، وأخذت شيئا منه قسرا، أعطيته ثلاث خصال، لو اعطيت واحدة منهنّ لملائكتي، لرضوا بها منّي،** ثم قال أبوعبدالله: **انّ الله عزّ وجلّ يقول: «الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انّا لله وانّا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربّهم»، فهذه واحدة من ثلاث خصال «ورحمة» اثنتان،«واولئك هم المهتدون »ثلاث...** قال أبوعبدالله(ع): **هذه لمن أخذالله شيئا منه قسرا*)**[20].

و روي عن الامام الباقر(ع): **(الجسم اذا لم يمرض أشر*، ولا خير في جسم يأشر)**[21].

و كتب رجل الى الامام محمد الباقر بن علي بن الحسين(ع) يشكو اليه مصابه بولده، و شدّة ما دخله، فكتب اليه:

---

* ــ قسرا: القسر: الاكراه.

٢٠ ــ الطبرسي/مشكاة الانوار/ص ٢٨٠ و ص ٢٩١/ط ٢.

* ــ أشر: بطر.

٢١ ــ الطبرسي/مشكاة الانوار/ص ٢٨٠ و ص ٢٩١/ط ٢.

(أما علمت أنّ الله يختار من مال المؤمن، ومن ولده أنفسه*، ليؤجره على ذلك)[٢٢].

و روي عن رسول الله(ص) قوله: **(اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له من العمل ما يكفّرها، ابتلاه الله بالحزن، ليكفّرها)**[٢٣].

و روى الامام الصادق(ع) عن جدّه رسول الله(ص) قوله: **(أعظم البلاء، يكافى به عظيم الجزاء، فاذا أحبّ الله عبدا ابتلاه بعظيم البلاء، فمن رضي فله عندالله الرضى ومن سخط البلاء فله السخط)**[٢٤].

و روى الامام الباقر(ع) عن جدّه رسول الله(ص) قوله: **(عجبا للمؤمن: انّ الله لا يقضي عليه قضاء، الّا كان خيرا له، سرّه ذلك، أم أساءه، وان ابتلاه، كان كفّارة لذنبه، وان أعطاه، وأكرمه، فقد حباه)**[٢٥].

و هكذا توضّح هذه الروايات: لماذا الألم...؟ و ما هي الفائدة الناتجة عنه...؟

---

* ــ أنفسه: أحبه.

٢٢ ــ الطبرسي/مشكاة الانوار/ص ٢٨٠.

٢٣ ــ نفس المصدر/ص ٢٩١.

٢٤ ــ نفس المصدر/ص ٢٩٧.

٢٥ ــ الطبرسي/مشكاة الانوار/ص ٣٠٢/ط ٢.

و في الختام نوضّح المبادئ الاساسية للقضايا المرتبطة بعلاقة الألم بالعدل الالهي، لكي لا نجزع و نسخط القضاء الالهي العادل، و لكي نفهم أنّ الألم ضرورة نفسية، و أخلاقية، و روحية، لتربية الانسان، و اصلاح حياته، و تصحيح علاقته مع خالقه و نفسه و بني جنسه، و هذه المبادئ هي:

أ ــ انّ الله سبحانه، يعوّض الانسان في الدنيا، أو في الآخرة، عن كلّ بلاء أو ألم وقع عليه، بتقدير من الله سبحانه، حسّيّا كان، أو نفسيا، كالعمى و فقد الاعضاء و التشويه و فقد المال و المرض، و الهمّ و الغمّ و الحزن ...الخ.

ب ــ انّ فائدة العوض العائدة على الانسان النفسية و التربوية و الاجتماعية أو الاخروية، هي أعظم من الألم الواقع عليه.

ج ــ كلّ ألم يقع على الانسان من الله سبحانه، فانّه لطف بالانسان، لأنّه يستهدف اصلاحه و تقريبه من الطاعة، و ابعاده عن المعصية، أو تجنيبه الاضرار و المساوى.

د ــ انّ الله ينتصف للذي يقع عليه الألم، ممّن يؤلمه ظلما، صغر ذلك أم كبر، فيعوّضه عوضا حسنا للألم الذي يقع عليه.

هـ ــ اذا فاتت الانسان منفعة، أو مصلحة في الدنيا بتقدير من الله سبحانه، و لحكمة ثابتة في علمه، فانّ الله يعوّضه على ما فوّت عليه من تلك المنفعة المادية أو المعنوية.

و ــ الألم الذي يحدث للانسان، بسبب تنفيذ الأوامر الالهية... كأداء الواجبات، أو ترك المحرّمات، أو فعل المباحات، فانّ الله سبحانه، يعوّضه علىٰ ما لاقاه من ألم حسّي أو نفسي أو عقلي... و كذلك الآلام التي تقع علىٰ الانسان من الحيوانات، فانّ الله سبحانه يعوّض الانسان عنها...

و هكذا يتّضح لنا أنّ عدل الله، وسع كلّ شيء، و ما من شيء يقع من الله، أو من الانسان، الّا و هو في ميزان العدل يقابله العوض و الجزاء.

١٠ ــ ظهور العدل في الابتلاء و الاختبار:

قال تعالىٰ:

«الذي خَلَقَ المَوْتَ و الحَياةَ لِيَبْلوكُمْ أيُّكُمْ أحْسَنُ عَمَلاً و هُوَ العَزيزُ الغَفور».

(الملك/٢)

و قال تعالى:

«رُسُلاً مُبَشِّرينَ وَمُنْذِرينَ لِئَلاّ يَكونَ للناسِ علىٰ اللّهِ حُجَّة بَعْدَ الرُّسُلِ».

(النساء/١٦٥)

لا شكّ في أنّ الله عالم بالانسان و بحقيقته التي يحملها، الخيرة أو الشريرة، و بنوع السلوك الذي يسلكه، منذ أن قدّر، و أراد أن يخلق: «ألا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير»... الّا أنّ اظهار هذه الحقيقة

للانسان ذاته، و ترتيب العقاب و الثواب عليها، أمر يرتبط باثبات العدل للانسان، و اظهاره له، و لا يكون ذلك الّا بعد ارسال الرسل، و تعريضه للابتلاء و الاختبار، و تكليفه بالتكاليف و المسؤوليات، التي حملتها الشرائع و الاديان، و بلّغها الرسل و الأنبياء... لذا توقّف الجزاء على التكليف و ايصاله للانسان، من الواجبات، و المباحات، و المحرّمات...

قال تعالىٰ:

«وَما كُنَّا مُعَذِّبينَ حَتىٰ نَبْعَثَ رَسُولا».

(الاسراء/١٥)

ليعرف الانسان حقيقة ذاته، و يعبّر عن محتواه الباطن بالعمل و السلوك ... و لئلا يحتج علىٰ الله سبحانه، يوم يلقاه.

لذا فانّ ما كلّف به الانسان، هو اختبار و امتحان للانسان نفسه، و بيان لحقيقته الخافية عليه.

و هكذا تكون الحياة فترة اختبار و امتحان لهذا الانسان، و هو قادر أن يحقّق فيها الفوز و النجاح، كما أنّه باختياره يخسر سعادته في هذه الدنيا، و في عالم الآخرة أيضا.

الهدىٰ و الضلال

تقديم:

«إهدِنا الصِّراطَ المُسْتَقيم صِراطَ الذينَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضّالين».

(الفاتحة/٦ ــ ٧)

الهدى و الضلال مصطلحان اسلاميان وردا في القرآن الكريم للتعبير عن مفهومين اساسيين تسير الحياة الانسانية بما فيها من فكر، و قول، و عمل، و عواطف، و مشاعر، و أحاسيس، علىٰ أساسهما...

فالاسلام قد نظّم الحياة، و برمج كلّ شي.يصدر عن الانسان، و صنّفه الى صنفين، فامّا هدى و امّا ضلال...

وقد وقع كثير من الناس في الاضطراب، و سوء فهم آيات القرآن التي تحدّثت عن الهدىٰ و الضلال، لعدم استيعابهم لعقيدة القرآن و معانيه. كقوله تعالىٰ الذي حكىٰ لنا خطاب موسى (عليه السلام) للباري جلّ شأنه:

«إنْ هِيَ إلّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَن تَشاءُ وَتَهْدي مَن تَشاءُ».

(الاعراف/١٥٥)

و كقوله تعالىٰ:

«... فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشاءُ وَيَهْدي مَن يَشاءُ وهُوَالعَزيزُ الحَكِيمُ».

(ابراهيم/٤)

و لكي يتكوّن فهم اسلامي صحيح للفكر القرآني بصورة عامة، و منه الفكر العقائدي و لازالة اللبس و الغموض، و حلّ مشكلة التعارض و التناقض المتوهمة في أذهان البعض في آيات القرآن، لابدّ من أن يتمّ تفسيرها، و فهمها، علىٰ اسس ثلاثة، هي:

١ ــ ربط الآيات بعضها ببعض، و التنسيق بين معانيها للحصول علىٰ مراد القرآن، البعيد عن التعارض و التناقض، فليس في كتاب الله تناقض و لا تعارض: غير

«وَلَوْ كانَ مِنْ عِندِ/اللّهِ لَوَجَدُوا فيهِ اخْتِلافاً كَثيرا».

(النساء/٨٢)

٢ ــ التنسيق بين الأفكار و المفاهيم العقائدية و التوحيدية التي وردت في السنّة المطهرة، و بين الاخرىٰ التي وردت في كتاب الله، و الاعتماد علىٰ هذا الربط في الفهم و التفسير.

٣ ــ الاستناد الى أحكام العقل السليم و مفاهيمه الملتزمة بالكتاب و السنّة، كلّ ذلك لاعطاء فهم عقائدي سليم يوفّر للانسان المسلم الفهم الصحيح، و العقيدة التوحيدية النقيّة، و العلاقة الطيبة مع الله، و يوفّر بين يديه

التفسير الصحيح لسلوك الانسان و عمله، ليعرف أنه هو المسؤول عن عمله و سلوكه و اختياره، و انّ الله سبحانه بريء من الظلم و تحمّل سيئات العباد، و انّه لطيف بهم، يعينهم علىٰ ما يقرّبهم من الاستقامة و الطاعة، و ما يبعدهم عن المعصية.

معنىٰ الهدىٰ و الضلال:

ان نحن تابعنا كلمة (الهداية) الواردة في القرآن، فسنجد أنّ القرآن استعملها في معان ثلاثة، هي:

١ ــ استعمل القرآن كلمة الهداية بمعنىٰ الارشاد و بيان الطريق و منهج الحياة للانسان و الحيوان... بل و للنبات و الجماد.

فالله سبحانه الذي خلق الخلق، قد جعل له ما يناسبه و ما يسيّر وجوده من قوانين و أنظمة و توجيه... و الهداية كثيرا ما ترد في القرآن بهذا المعنىٰ، و الهداية بهذا المعنى تنقسم الى قسمين:

أ ــ الهداية الفطرية و التكوينية: و يقصد بها هداية الله للمخلوقات جميعها الىٰ نظام وجودها و حياتها الطبيعي، فالله هو الهادي للمخلوقات هداية تكوينية و فطرية (الانسان و الحيوان)، هداها لنظام الحياة الطبيعي، من الأكل، و الشرب، و البحث عن القوت، و التفكير و التكاثر، و حبّ الابناء، و بناء البيوت، و الاعشاش، و النفور من الالم و الضرر... الخ، كما هدىٰ النبات و الجماد، أي جعل لها القانون

الطبيعي الذي تسير وفقه.

وقد وضّح القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله:

«... قالَ رَبُّنا الذي أَعْطىٰ كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ».

(طه/٥٠)

كما وضحها الرسول الكريم بقوله:

(اعملوا فكلّ مخلوق مسير لما خلق الله)...

و هكذا نفهم أنّ أحد معاني الهداية الواردة في القرآن هو: (الهداية الطبيعية و الفطرية للانسان) عن طريق خلق الغرائز و التوجيهات الفطرية التي خلق الانسان و هو مزوّد بها... كما خلق الحيوان و النبات و الجماد و هو موجّه توجيها تكوينيا يحفظ له وجوده و غاية حياته.

و هذا اللون من الهداية ليس موضعا للنزاع و الخلاف، و لا يدخل في مجال التكليف و الحساب و المسؤولية.

ب ــ الهداية التشريعية: و استعمل القرآن كلمة (الهداية) بمعنى الارشاد، و بيان الطريق، و منهج الحياة، عن طريق ارسال الرسل، و بعث الانبياء، و انزال الشرائع ليعرف الانسان ربّه، و يفهم عبادته، و نظام الحياة، و كيفية التعامل مع بني جنسه، كما ورد في قوله تعالىٰ:

«وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدونَ بأَمْرِنا و أَوحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيراتِ...».

(الانبياء/٧٣)

٢ ــ و استعمل القرآن كلمة (الهداية) بمعنى (التوفيق) كما وردت في قوله تعالىٰ:

«وَمَن يُؤْمِن باللّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ».

(التغابن/١١)

و قوله:

«إنَّ الذينَ آمَنوا و عَمِلوا الصالحاتِ يَهْديهِمْ رَبُّهُم بإيمانِهِمْ».

(يونس/٩)

و قوله:

«إنَّ الذين لا يُؤمِنون بآياتِ اللّهِ لا يَهْديهِمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذابٌ أليمٌ».

(النحل/١٠٤)

و هذا اللون من الهداية هو الذي شكّل فهمه عقبة أمام بعض الأفهام، فتصوّر البعض الهداية الجبرية، أي أنّ الله هو الذي جعل الهداية في بعض الناس، و حرم آخرين منها.

و الصحيح هو أنّ الله سبحانه لم يخلق اناسا مهتدين و آخرين ضالّين... بل انّ المقصود بهذه الايات و أمثالها، هو توفيق الله، و إعانته للانسان، الذي رغب في هذه الهداية، و أقبل عليها.

فالانسان بعد أن يمرّ بمرحلة الاختيار الذاتي، و تقرير الموقف، تأتيه الهداية (أي توفيق الله، و اعانته علىٰ الايمان و الطاعة)، و ليس المقصود

هو جعل اختيار الهداية في الانسان، و بهذا المعنى جاءت الآية الكريمة:

«... فَمِنْهُمْ مَنْ هَدىٰ اللّهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيهِ الضَلالةُ فَسيروا في الأرضِ فانْظُروا كَيْفَ كان عاقِبةُ المُكَذِبينَ».

(النحل/٣٦)

و يوضّح ذلك قول الله الحق:

«وَقالَ الذينَ أَشْرَكوا لَوْشاءَ اللّهُ ما عَبَدْنا مِن دُونِهِ مِن شَيءٍ و لا آباؤنا و لا حَرَّمْنا من دُونِهِ مِن شَيءٍ كَذلِكَ فَعَلَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ علىٰ الرُّسُلِ إلّا البَلاغُ المُبينُ».

(النحل/٣٥)

لذلك استنكر القرآن علىٰ تلك الأقوام القول بالجبرية و أكّد أنّ علىٰ الله أن يرسل الرسل، و علىٰ الرسل أن يبيّنوا و على الانسان أن يقرّر موقفه، و يختار طريقه ليكون مسؤولا عن هذا الاختيار، لذلك قال تعالىٰ:

«إنّا هَدَيْناهُ السَبيلَ إمّا شاكراً و إمّا كَفُورا».

(الانسان/٣)

٣ ــ و استعمل القرآن كلمة (الهداية) بمعنىٰ الهداية في الآخرة الىٰ الجنة و الثواب، كقوله تعالىٰ:

«الحمد لله الذي هدانا لهذا». (الاعراف/ ٤٣)

و كما وضح القرآن لنا معنى (الهداية) وضّح كذلك معنى (الاضلال) فالاضلال الوارد في القرآن جاء مستعملا في ثلاثة معان، هي:

١ ــ يطلق لفظ (الاضلال) على التوجيه ـ نحو الباطل و الابعاد عن الحق، عن طريق الافكار و المبادئ و النظريات و المعتقدات التي تبعد الانسان عن الحق و العدل ــ و الله سبحانه منزّه عن ذلك، فقد أوضح للانسان طريق الحق و العدل، و هداه الطريق المستقيم.

٢ ــ يطلق لفظ (الاضلال) على فعل الضلال في الانسان، أو ايجاد أسبابه في الانسان، و بذا يكون الانسان مجبرا على الضلال، و هذا المعنى لا يمكن أن ينسب الى الله سبحانه و هو منزّه عنه، قال تعالى:

«وَما كانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْما بَعْدَ إذْ هَداهُمْ».

(التوبة/١١٥)

٣ ــ و يطلق (الاضلال) على الاهلاك و البطلان، و الله سبحانه قد يضلّ أي يهلك الانسان بسوء عمله، و يبطل أعماله، أي لا يثيبه عليها، لسوء نيته و مقصده، من النفاق و الرياء... الخ، و هكذا يتضح لنا من خلال العرض القرآني أنّ الانسان هو المسؤول عن ضلاله، و هو الذي يحقّق الهداية لنفسه بعد أن بيّن الله سبحانه له الطريق و منحه القدرة على الاختيار و أعطاه العقل المميّز، قال الله تعالى:

«مَن اهتدىٰ فإنَّما يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ عَلَيْها».

(الاسراء/١٥)

«كَذلِكَ يُضِلُّ اللّهُ الكافِرينَ». (غافر/٧٤)

«كَذلِكَ يُضِلُّ اللّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ». (غافر/٣٤)

و أخيرا نفهم أنّ الله سبحانه هدى الانسان هداية فطرية لما فيه خيره و سعادته، و أرسل له الرسل و الشرائع، ليوضّحوا له الطريق، و هو سبحانه يوفق من يتّجه الىٰ الهدىٰ، و يعينه عليه، و انّ معنىٰ إضلال الله للانسان هو إهلاكه للانسان بسبب اختياره لطريق الضلال و وقوعه فيه، و انّ نسبة الاضلال الىٰ الله الواردة في الآيات القرآنية الكريمة تعني الحصر الطريقي و النتيجة الحتمية... أي أنّ الله جعل الهدىٰ منحصرا في هذا الطريق، فيكون بشكل حتمي، انّ الخارج علىٰ هذا الطريق سالك الطريق الثاني، و هو طريق الضلال... و هذه القوانين هي من صنع الله و سننه في الخلق، لذلك نسب إضلال الانسان المنحرف الىٰ الله... بهذا الاعتبار و ليس باعتبار خلق الضلالة في الانسان، و إجباره عليها.

و ان شئنا تقريب الفكرة الىٰ الاذهان، فلنضرب المثل الآتي:

واضح لدينا انّ قانون الجاذبية يقضي بسقوط الاجسام الواقعة من الأعلىٰ الىٰ الأرض اذا كانت في مجالها، و انّ هذا القانون قد خلقه الله سبحانه... و الانسان الذي يلقي بنفسه من ارتفاع عشرة آلاف متر مثلا سيقع حتما علىٰ الأرض و سيهلك، و انّ هذا الهلاك هو الذي اختاره لنفسه بايقاعها ضمن تلك القوانين الالهية القاضية باهلاك من يهوي فيها من مثل هذا المرتفع، لذلك يصح أن نقول إنّ قانون اهلاك هذا قد خلقه الله، و هو الذي يهلك الانسان الذي يجري عليه.

(الفهرس)

الموضوع — الصفحة

المدخل ٥

تعريف ٦

أبرز مظاهر العدل الالهي ٧

١ ــ ظهور العدل في الخلق والتكوين ٨

٢ ــ ظهور العدل في القضاء والقدر ٩

٣ ــ ظهور العدل في قدرة الانسان على الاختيار ١٢

* الجبر ١٤

* التفويض ١٥

* لا جبر ولا تفويض ١٦

٤ ــ ظهور العدل في التكليف بمستوى المقدرة ٢١

٥ ــ ظهور العدل في التشريع والرّسالة ٢٢

٦ ــ ظهور العدل في الجزاء (العقاب والثّواب)..... ٢٦

٧ ــ ظهور العدل في تحديد المسؤولية ٣٠

٨ ــ ظهور العدل في ارسال الرّسل والشرائع ٣٢

٩ ــ ظهور العدل في العوض عن الآلام ٣٣

١٠ ــ ظهور العدل في الابتلاء والاختبار ٤٠

الهدى والضّلال ٤٣

معنى الهدى والضّلال ٤٥